مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 03 بتاريخ 2021/04/08م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

"البِجَائيّون ودورهم في تنشيط الحركة اللغويّة والأدبيّة في الشّمال الإفريقي"

د. جمعة زروقي

مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللغة العربيّة _ الجزائر_ "وِحدة ورقلة"

dr.zdjomana@gmail.com

الملخص:

لم يدّخِر علماءُ اللغةِ والأدب الجزائريّونَ جهدا في خدمة لغة القرآن المجيد؛ فقد نَشَأ معظمهم في بيوتِ علمٍ وأدبٍ تهتمُّ بحفظِ وتحفيظ القرآن الكريم، وتثبيت الأحاديث النّبويّة الشّريفة، وتقديس التّراث العربي، ممّا انعكس على شخصيّاتهم، وتوجّهاتهم العلميّة؛ فقد كرّس هؤلاء العلماء حياتَهم لِطلب العلم، وتحصيله، والبحث في المسائل العلميّة _ كلٌّ في مجاله_؛ فبرع منهمُ الأديبُ، والشّاعرُ واللغويّ، والنّحويُّ، والصّرفيُّ، وغير ذلك من التّخصُّصات، والمتأمّل في سِيَرِ وتراجم هؤلاء العلماء يلمسُ اهتمامهم البالغ بتدوين، وتأليف إنتاجهم العلمي في أسفارٍ، وكُتُبٍ قيّمةٍ، منها ما هو متوفّرٌ، ومنها ما هو مغمورٌ، وتحاولُ هذه الورقة البحثيّة الكشفَ عنْ ثُلّـةٍ مُنْزَوِيةٍ بِإحدى مُدُنِ الجزائرِ الكُبرى، ألا وهي مدينة "بِجاية" العريقة، التي أخرجت زمرةً من العلماء الذين بلغوا شأوا في العلم، وأسهموا بمؤلّفاتهم، وتنقّلاتهم في تنشيط الحركة اللغويّة والأدبيّة في شمال إفريقيا.

الكلمات المفتاحية: البجائيّون، التأليف، التّراث العربي، الحركة اللغويّة والأدبيّة، شمال إفريقيا.

The patriarchs and their role in activating the linguistic and literary movement in North Africa

Dr. Djemaa Zerrouki

Linguistic Research Unit and arabic language issues in Algeria Ouargla

dr.zdjomana@gmail.com

Abstract:

Algerian scholars of linguistics and literature have spared no effort in serving the language of the glorious Qur'an. Most of them grew up in houses of science and literature concerned with preserving, memorizing the Quran, confirming noble prophetic hadiths, and revering the Arab heritage, which was reflected on their personalities and scientific orientation

ns. These scholars have devoted their lives to seeking knowledge, acquiring it, and researching scientific issues - each in its field. Among them, the writer, poet, linguist, grammar, and morphologist excelled, and other disciplines, and contemplating the biographies and translations of these scholars touches their keen

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

interest in codifying and composing their scientific production in travels and valuable books, some of which are available, some of which are immersed,This research paper reveals a traumatic fulcrum in one of Algeria's great cities, the ancient city of Bejaia, which brought out a group of scholars who have reached a level of science and contributed with their writings and movements in activating the linguistic and literary movement in North Africa. So who are these scholars, and how was their scientific upbringing ?, How was their linguistic and literary production, and what were their writings distinguished ? and how did they contribute to activating the linguistic and literary movement in the North African region - specifically_

Keywords: The patriarchs, authorship, Arab heritage, linguistic and literary movement, North Africa.

تزخرُ بطونُ الكتُبِ بذكر علماءِ الشّمال الإفريقيّ عامّة _ وعلماءُ بجايةَ[1] خاصّة_ ولم يكُن ذلك نابعٌ من فراغ؛ لأنّ البجائيّين _ إلى جانِبِ جهودِ إخوانهم من أقطارٍ مختلفة قامُوا بِدَورٍ بارزٍ في تحقيق التّواصل المعرفيّ وتغذيتِهِ، باستمرار؛ فقد كان لهم شرفُ المساهمةِ في تعميقِ الصِّلاة الحضاريّة، حيثُ استقرّوا في حواضرَ علميّة كُبرى بالبلدانِ العربيّة على غرار حاضرة تلمسان، والمشرق، والقاهرة، وفاس، وسبتة، وغرناطة...فأتيحَ لهم تيسير التّبادل الثّقافي، ومواكبته، وإثرائه بمختلف الرّوافد المعرفيّة من تدريسٍ، ونقلٍ للكتب، والمؤلّفات، ممّا أسهم في تحقيق رواجٍ فكريّ كبيرٍ ، وأكسب هذه الحركة العلميّةِ قيمةً كبيرة كونها لم تقتصر على بلدان المغرب العربيّ بل إنها قد تجاوزتها إلى بلدان المشرق أيضا، والمدينةَ المنوّرة،ولاريب في تبوّءِ ''بجايةَ'' تلكَ المكانة المرموقة، فقد قال الشّاعرُ **أبو علي حسن بن الفكون القسنطيني**[2] فيها **[البسيط]**:

يَا طَالِبًا وصفها إن كُنتَ ذَا نَصَفٍ ** **قُل جنَّةُ الخُلدِ فيها الأهلُ والولدُ.**

وقد أسهَمَ عُلماءُ بِجايَةَ في الاشعاعِ الثّقافيّ الذي شَهِدَتْهُ المراكز الثّقافيّة الواقعة بشمال إفريقيا منذ القرون الوسطى بِوُضوحٍ ولَمَعانٍ كبير ، ولعلّ ما سجّلَهُ أغلب المؤَرّخين مِن عَرَبٍ، وأجانِبَ خير شاهِدٍ ودليلٍ على ذلك؛ ففي مجال العلوم نجِدُ نسبة كبيرة من بين أولئِكَ العلماء الأفذاذ الذين خَصّص لهم عالم"**التّكرور**" **أحمد بابا التّمبكتي**(963هـ_ 1063م) حيّزًا كبيرًا من كتابِهِ الشّهير"**نَيْلُ الابْتِهَاجِ بِتَطْرِيزِ الدِّيبـَاج**" حيث اقتفى أثر "**ابن فرحون إبراهيم بن علي بن محمّد، برهان الدّين اليعمريّ**"

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

(ت799هـ)، وأكمل ما جاء في كتابه " **الدّيباج المذهّب في معرفة علماء أعيان المذهب**" في ذكر البِجائيّين الذين انتقلُوا من شرق الجزائر إلى البُلدان المجاورة، والأمصارِ البعيدةِ؛ فكانوا يُدرّسُونَ، ويُفيدون، ويؤلّفُون.

وتندرِجُ هذه الدّراسة ضمن مجال التّراجم والسّير، الذي يقدّم للباحثين والقرّاء صورةً لامعةً عن مساهمات بجايةَ ورجالاتها في تنشيطِ الحركة العلميّة، والثّقافيّة، ونقلها إلى البلدانِ العربيّة والاسلاميّة_ خاصّة بلدان الشّمال الافريقي_

وتكمُنُ **أهمّيتها** في كونها ذات صِلة بِعُلماء اللغة والأدب البجائيّين، الذين أسهموا في نشر العلوم والثّقافة العربيّة والاسلاميّة الممتدّة إلى خارج أقطار البلاد العربيّة، وكذا **تسليط الضّوءِ** على نشأتهم العلميّة وأثرها في إنتاجهم الفكري.

ومن هذا المنطلق وقع اختيار الدّراسة على **موضوع**: "البِجَائيّون ودورهم في تنشيط الحركة اللغويّة والأدبيّة في الشّمال الإفريقي" **لأسباب** عدّة منها:

_التّعرّف على منابع الثّقافة لدى علماء بِجاية.

_ تتبّع حركة تنقّلاتهم، وذكر إنجازاتهم العلميّة، ثمّ الحديث عن تأثيرِهم في الحركة اللغويّة والأدبيّة في جهة الشّمال الافريقي _ تحديدًا_

وعليه يُمكِنُ طرحُ **التّساؤلاتِ** التّالية:

مَنْ هم هؤلاء العلماء؟ وكيف كانت نشأتهم العلميّة؟ وكيف كان إنتاجهم اللغويّ والأدبيّ، وبِمَ تميّزت مؤلّفاتهم؟ وكيف أسهمُوا في تنشيط الحركة اللغويّة والأدبيّة في جهة الشّمال الإفريقي ؟

وكيف كانت إسهامات الحركة العلميّة البِجائيّة الجزائريّة في عمارة أرض شمال إفريقيا، وما جاوَرَهَا بِنورِ العلم؟

ومن خلال عنوان هذا البحث، فإنّهُ يسعى إلى محاولة الوُقُوف على جملة من **الأهداف** أهمّها:

_ التّعريف بعلماء اللغة والأدب بمدينة "بجاية" الأثريّة الجزائريّة.

_ الحديث عن تراجم وسِيَرِ بعض هؤلاء العلماء قصد تعريف الباحثين والأساتذة والطلبة بهم من أجل فتحِ آفاقِ البحثِ في مؤلّفاتهم، ومناهجهم اللغويّة، والأدبية.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

_ ذِكرُ بعض النماذج من المؤلفات اللغويّة والأدبيّة بالمنطقة.

_ بيان جهود هؤلاء العلماء في حفظ التّراث اللغوي العربي، وإسهامهم في إثرائه.

وتحقيقا لهذه الأهداف تمّ تقسيم الدّراسة على جملة من **المحاور** أهمّها:

_ لمحة تاريخيّة و تعريفٌ موجزٌ بمنطقة بجاية وتراثها اللامادّي.

_ عرضٌ مفصّلٌ للعلماءِ الذين تمّ العُثور على سِيَرِهِم العلميّة ومؤلّفاتهم في ثنايا الكُتُب.

_البحث في سِماتُ التّأليف المشتركة بين هؤلاء العلماء.

_ دور هؤلاء العلماء في نشر علوم اللغة والأدب في شمال إفريقيا.

_نتائج الدّراسة.

ولهذه الدّراسة ارتباطٌ وثيقٌ بالتّراث؛ لاتصال موضوعها بتراجم وسِيَر علماء اللغة والأدب البجائيّين، وهذا ما يُكسِبُها قِسطًا من **الأصالة**.

وبهدف الاجابة عن التّساؤلات المطروحة، تمّ اتّباع **المنهج التّاريخي** الذي يتتبّعُ بعض المراحل التي سار عليها هؤلاءِ العلماء الأجلاّء، ويقِفُ على بعض المحطّات التي كان لها الدّور الكبير في نبوغهم العلمي، كما تمّت الاستعانةُ بالمنهجِ المذكور في ترتيب هؤلاء العلماء حسب تاريخ الوفاة،كما اتّبعتْ **المنهج الوصفي**، في وصف تلك الجوانب الهامّة من حياة هؤلاء العلماء.

وفي هذا الاطار، وبعد استقراء جملةٍ من **المصادِرِ والمراجع** تمّ طرحُ **الفَرَضيّة** التّالية:

_ لِعُلماءِ بِجَايَةَ الأثر الواضح في تنشيطِ الحركة اللغويّة والأدبيّة في شمالِ قارّةِ إفريقيا.

وتنحَصِرُ **حُدُودُ الدّراسة** في منطقة بجايةَ الجزائريّة الواقعةَ على ساحِلِ البحر الأبيضِ المتوسّط، ومن بين علمائِهَا تمّ انتقاء بعض العلماء الذين بَرَعُوا في مجال اللغة والأدب"، ولم تُغطّي الدّراسة جميع هؤلاء العلماء، وإنّما اكتفت ببعض علماء بجاية الذين ورد ذِكرُهُم في **معجم أعلام الجزائر _ من صدر الاسلام حتّى العصر الحاضر_** للمؤلّف" **عادل نُوَيهض**"، _خاصّة_ ، وبعض مصادر التّراجم المتاحة _عامّةً_ .

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وقد خلُصت الدّراسةُ إلى جملة من **النّتائج** أهمّها ما جاء في الفرضيّة المطروحة، وهو قيامُ علماء بجاية بِدورٍ كبيرٍ في نشر الاشعاع العلمي والثّقافي بشمال إفريقيا؛ فحاضرة بجايةَ لا تقِلُّ أهميّة عن حواضر المشرق، والأندلس، وقلعة بني حمّاد، وتلمسان، وقسنطينة.

1_ لمحة تاريخيّة و تعريفٌ موجزٌ لمنطقة بجاية وتراثها اللامادّي:

مدينةُ بِجايَةَ النّاصريّة[3]

قد يَتشعّبُ الحديثُ عن مدينة بِجاية، وتُراثها المادّي و اللامادّي؛ فهي تكتنِزُ بموروثٍ ثقافيّ أكسَبَها ميزةً خاصّة بين باقي الحواضر الاسلاميّة القائمة خلال القرون الميلاديّة : الرّابع عَشَر، والخامس عَشَر، والسّادس عَشَر؛ وقد عدّها المؤرّخون من بين أهمّ حواضر المغرب العربيّ الأوسط، ويعودُ ذلك لعوامِلَ مُتنوّعة أكسبتها هذه الخُصوصيّة؛ فهي تنمازُ بِمَوقِعٍ جُغرافِيٍّ إستراتيجيّ، كونها مِنَ المُدُن المطِلّة على ساحل البحر الأبيض المتوسّط، وتميزها بتاريخها السّياسي الحافل بالمآثِرِ والأحداث، وغناها بمؤهّلات اقتصاديّة نحو: رواج النّشاط التّجاري بها، خاصّة الملاحة، والصّناعة، والزّراعة، كلّ هذه العوامل وغيرها « جَعَلَتْ منها حاضرة لِسُكّان القبائِلِ المقيمة في مُحيطِها الجُغرافيّ، وبِخاصّةٍ منها منطقة زواوة، التي شكّلَت نواة القاعدة الدّيمُوغرافيّة للمدينة التي شُيِّدَت بِسَاحَةِ قبائلها _ كما عبّر عن ذلك ابن خلدون»[4]

وقدشَهِدَ لها التّاريخ بالازدهار والتّقدّم في شتّى المجالات؛ فقد« ازدهرت في عهد المنصور ازدهارًا كبيرًا، حيثُ نعمت بالازدهار الاقتصادي والتّجاري؛ فكما كان النّاصِرُ من أعظَمِ مُلوكِ إفريقيا كانت بِجايَةَ من أعظَمِ مُدُنِها، وقد بقي بها قَصْرُ اللؤلؤة الذي يقولُ فيه ابن خلدون بأنّهُ " من أعجبِ قُصورِ الدّنيا، وقد بنى النّاصر فيها المباني العجيبة المؤنّقة، وشيّد المدارس العظيمة" »[5]، كما أثّرت هذه العوامل في تنشيط الحياة العلميّة والفكريّة ورواجها، وأثرى هذا النّشاط حُضور علماء بجاية ونشاطهم الثّقافي ، وتأثيرهم وتأثّرِهم بالنّشاط العلمي آنذاك، وفيما يأتي نُطالِعُ عرْضًا مُجملا لأعلام بجاية الذين برعوا في مجال اللغة والأدب.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

2_ عرضٌ للعلماء الذين تمّ العُثور على سِيَرِهِم العلميّة ومؤلّفاتهم في ثنايا الكُتُب:

2_1: علماء اللغة والأدب البجائيين:

أ_ **إبراهيم بن عبد الله بن هلال الخزرجي البِجَائيّ**: فقيهٌ، وأديب، وكاتب من أهل بجاية، من أعلام القرن الميلادي الثامن (ق8 هـ/ 14م)، وُلِيَ كتابة العلامة للأمير مسعود بن موسى بن هيدور الموحد التّنيملي، قال أبو الوليد الأحمر: " جَمَعَ بين الخُطّتين، السّيف والقلم، وقدَمُهُ في الفصاحةِ أثبت من علم، وهو فارسُ حربٍ ويراعة، وصاحِب ذكاء وبراعة، والشّعر هو الفذّ في سبك حِلِيهِ، والمستنير من ضوء التّحسين يحلّي حليه"[6]

ب_أحمد بن إدريس البجائيّ، أبو العبّاس: عاش بعد عام (760هـ/ ..._ بعد1359م) فقيهٌ مالِكِيٌّ، كانَ كبير علماء بجاية في وقته، أطلق عليه فارس السّجّاد لكثرة صلاته، قال ابن فرحون: " رَحَلَ وحَجَّ، واجتمعتُ به في مكّة المشرّفة فرأيتُهُ رجُلاً عالِمًا مهيبًا وَقُورًا، وكانت وفاتهُ بعد السّتّين وسبعمائة" ، له " شرحٌ على ابن الحاجب" نقل عنه جماعة من الفقهاء والعلماء: منهم ابن عرفة وأحمد بن زاغو، ومحمّد بن بلقاسم المشذاليّ وغيرهم[7].

ج_ أحمد بن عمران البجائيّ، أبو العبّاس: من أعلام القرن الهجري الثّامن (8هـ/ 14 م) خطيب بجاية وفقيهها، وَرَدَ تلمسانَ بين سنة 718 و720هـ، وحضر مجلسًا علميًّا ظَهَر فيه نبوغه، فأكرمهُ السّلطان أبو تاشفين الأوّل ومنحَهُ مائتي دينار ذَهَبًا، أخَذَ عنهُ المقّري الجدّ، وأثنى عليه، له "شرح" على ابن الحاجب في ثلاثة أسفار.[8]

د_ أحمد بن محمّد بن عليّ بن غازي بن موسى الدّاودي، أبو محمّد، البجائيّ: (... 841هـ/..._1438م)

أديب، من أهل بجاية من آثاره " حدق المقلتَين في شرح بيتي الرّقمتين" مخطوط، يتضمّن واحدا وأربعينَ معنًى لهما[9]

هـ_ أحمد بن محمّد بن محمّد بن عبد الرّحمن بن عليّ بن أحمد، الشّهاب البجائي(... 860هـ/..._1456م)، أحد أبرز فقهاء بِجَايَةَ، « له مشاركةٌ في علوم العربيّة والمنطق، وغيرها، أخذ في بجاية عن أبي عبد الله محمّد بن يحي بن عبد الله البِجائيّ، وأبي عبد الله محمّد بن محمّد القمّاح الأندلسيّ،

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ورحلَ إلى المشرق وحجَّ، وأخَذَ بِمِصر عن القاياتي، وابن قديد، والعزّ عبد السّلام وغيرهم، كما أخذ عن علماء المدينة المنوّرة، قال السّخاويّ: " تقدّم في العلوم، ولم يكن بعد شيخنا ابن خضر من يُدانيه في إرشاد المبتدِئين وله فيها حُدودٌ نافعة، أخذ عنه الأعيان من كلّ مذهب فُنونًا كالفقه والعربيّة والصّرف، والمنطق، والعروض، وأخذت عنه العربيّةَ كمَا أخذَ عنهُ أخٌ له ، لهُ" شرحٌ إيساغوجي" توفِيَ بالقاهرة، ودُفِنَ بِتُربةِ الصّالحيّة »[10]

و_حمزة بن محمّد بن حسن بن علي بن عبد الحكيم البجائي: (839_ 902هـ/1435م_ 1496م): « عالم مالكيّ، مَهَرَ في الأصلَيْن والعربيّة والصّرف والمعاني والبيان والمنطق، من أهل بجاية تعلّم بها وبتونس، ثمّ رحل إلى المشرق، وحجّ وجاور، وعاد إلى القاهرة فاجتمع بالكافيجي أحد العلماء بالمعقولات، وكان هذا يُجِلُّ البِجائي لِعِلمِهِ، قال السّخاويّ: وأقامَ بالقاهرة مُنجَمِعا عن النّاس، وأقرأ الطّلبة واجتمع به الفضلاء، وطلبهُ السّلطان بعد محنة إمامه الكركي فاجتمع به ومازحهُ وقبل شفاعته في بعض الأمور، وقد سلّمتُ عليه بعد قُدومِهِ من الحجّ مرّة ثانية فابتهجَ ومشى معي من خلوتِهِ لِباب المدرسة، والبُغاث بأرض مصر يستنسِر"»[11].

ز_عبد الله بن سلامة البجائي(ق6هـ/ ق12م)، أبو محمّد: أديب، شاعر، من أهل بجاية سكن مصر وتنقّل بين القاهرة والإسكندريّة والصّعيد والرّيف، كان معاصرا للعماد الأصفهاني الكاتب (519_ 597هـ) وقد ذكره في كتابه خريدة القصر" وأورَدَ له مقطوعة شعريّة[12].

ح_ عبد الله بن محمّد بن موسَى بن علوان(ق 9هـ/ ق 15م)، هو أبو محمّد البِجَائي: أديبٌ، له نَظمٌ من أهل بجاية قال صاحب تعريف الخلف: من أصحابنا الذينَ هم في وقتنا أي اواخِر القرن التّاسِع عشر، و أوائل الذي يليه، لهُ نَظْمٌ في الفرائض سَلَكَ فيه طريقة الحجازيّين والنّجديّين[13].

ط_ أبو زكريّاء يحي بن أبي علي المشتهر بالزّواوي: هو مِن أجَلِّ عُلماءِ بِجاية، « ويُنسَبُ إلى بني حَسَن من أقطارِ بِجايَةَ، والنّاسُ ينسِبُونَ فيه الحسناويّ، وُلِدَ في منطقةِ بني عيسى، من قبائلِ زواوة، وقرأ _ رضي الله عنه_ أوّل أمرِهِ، بِقلعةِ بني حمّاد على الشّيخ الصّالِح أبي عبد الله بن الخرّاط وغيرِهِ ثمّ ارتَحَل إلى المشرِقِ ولَقِيَ الأخيارَ، والمشائخ من الفقهاء، والمتصوّفة وأهل طريقِ الحقّ، استوطنَ _رحمه الله_ بعد رجوعِهِ منَ المشرق، وجلس بها لنشر العلمِ وبثّهِ، توفي سنة 611هـ »[14]

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ي_ مروان بن عمّار بن يحي، أبو الحكم، البِجائيّ(... نحو 610هـ/ ..._ نحو 1213م) : قاضٍ، وفقيه، له مشاركة في علوم اللغةِ والأدب، من أهل بِجاية، وبها سمع من عبد الحقّ الإشبيلي، ثمّ انتقلَ إلى المغرب والأندلس، فسمع بفاس، وسبتة وغرناطة، وأخذ عن أبي ذرّ الخشني كثيرًا من كُتُب الأدب واللغة، قال ابن الأبّار: وكان من الأدباء النّبَهاء، مُشارِكًا في أبوابٍ من العلم، حسن الخطّ، جيّد الضّبط كتب للولاّة، وولي قضاء المرية، ثمّ أخّر عنه، وبلغني انّهُ توفي في نحو 610هـ[15].

ك_منصور بن محمّد بن عبد العزيز السّلمي المتناني البِجَائيّ(865_ حيًّا 930هـ/ 1461_ حيًّا 1524م): لُغويّ، أصولي، منطقي، فرضي، من فقهاء المالكيّة، وُلِدَ في متنانة من أعمال بجاية، ثمّ سكنَ بجاية (878هـ) وتعلّمَ بها وبتونس، ودخلَ القاهرة سنة 889هـ في طريقه لأداء فريضة الحجّ فما تيسّر له وتخلّف بها، فأخذَ عن جماعة من علمائها، كما أجازَهُ السّخاوي الضّوء اللامع[16] .

ل_ أبو العبّاس أحمد بن محمّد الغبريني: « قاضي القضاة والمترجم مِن بِجاية في العهد الحفصي، وأصله من المنطقة الشّهيرة آيت غبرين منَ القبائِلِ الكُبرى بِضواحي العزازقة اشتُهِرَ بِكِتابِهِ في التّراجم " عنوان الدّراية" يُعَدُ هذا الكتاب من أهمّ المصادر التّاريخيّة الموثوقة في الحياة العلميّة في بِجاية خِلال القرون الوسطى، وسِجلّ حافِل بِتراجم علماء بِجاية، ويُعتبر المرجع الأساس لِكُلِّ من يهتمّ بالتّاريخ السّياسي، الثّقافي، العلمي، والدّيني لبجاية _ خُصوصًا_ والمغرب _ عمُومًا_»[17]، كما يُعَدُّ مرجعًا أساسًا في التّعريف بِطَرَائِقِ التّعليم آنَذاك، وُلِدَ الغبريني عام 664هـ_ 1246م، في منطقة آيت غبرين[18] ، وقد شَهِدَت تَخَرُّجَ العديد من أهل العلم، وفي طليعتهم ابنُهُ أبو القاسم التّونسي (ت772هـ) الذي عُيِّنَ مُفتي وقاضي القضاة بِتُونس.

وقدنَشَأ الغبريني في بِجَايةَ، وتعلّمَ بها وبِتُونُس، كانَ فقيهًا، تمّ وُلِّيَ القضاءَ بِمَواضِعَ عدّة آخِرُها مدينة بِجاية؛ إذًا فقد كانَ ينتمي إلى الوسَط العلمي للمدينة أيّام نزول الفيلسوف الشّهير : ريمون لول (1235م_ 1315م)[19] .

3_ سِمات التّأليف المشتركة بين هؤلاء العلماء:

اتّسَمَت تآليفُ علماء بِجاية بالتّنوّع؛ ففي مجال اللغة والأدب نجِدُهم قد اهتمّوا بعلمَي النّحو والصّرف، كما أولوا عنايَةً بميدان التّراجم والسّير، ولم يُغفلوا أدب الرّحلة، وفيما يلي حديثٌ عن بعض مؤلّفاتهم

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

1_3: شرح ابن الحاجب لأحمد بن ادريس البِجائي: يقول التّمبكتي: في نيل الابتهاج: قلتُ لهُ شرحُ ابنُ الحاجِبِ، نقل عنه النّاسُ كالشّيخ أبي العبّاس الفلشاني في شرحه، والامام محمّد بن بلقاسم المشذالي في اختصارهِ لمختصر ابن عرفة، والعلامة أحمد بن زاغو التّلمساني وغيرهم، وأخذ عنه يحي الرّهوني، وابن خلدون، ونقل عنه ابن فرفة وسمّاه الفقيه الصّالح[20]

2_3: **ألفية بن معطٍ أو الدّرة الألفيّة في علم العربيّة،** هي من أشهر مؤلّفات ابن مُعطٍ؛ لأنّه نظمها في ألف بيتٍ، ويُعَدُّ ابنُ مُعط رائدًا في استعمال لفظ الألفية في أشعاره؛ فقد أطلق هذه التّسمية على منظومته النّحويّة؛ حيثُ قال: "هذا إتمامُ الألفيّة" وذكَرها العلاّمة ابن مالك في ألفيّتِهِ قائلا:

وتقتضِي رضًا بِغَيرِ سخْطِ ** **فَائِقَةً أَلْفِيَّةَ ابْنِ مُعْطِ**[21]

ذكرها ابن خلدون في مقدّمته بقوله: « وجاء المتأخّرون بمذاهبهم في الاختصار فاختصَرُوا كثيرًا من ذلك الطّول، مع استيعابهم لجميعِ ما نُقِلَ، كما فعله الزّمخشريّ في المفصّل، وابن الحاجب في المقدّمة له، وربّما ينظِمُوا ذلك نظمًا مثل ابن مالك في الأرجوزتين الكُبرى والصّغرى، وابن معطي في الأرجوزة الألفية »[22]

3_3: عنوان الدّراية فيمن عُرِفَ منَ العلماءِ في المائة السّابعة ببجاية: تمّ تصنيفُهُ في السّنوات الأخيرة قبل وفاة الغبريني، اشتمل الكتاب على أهمّ العلماء الذين عرفتهم بجاية مابين الرّبع الأخير من القرن السادس الهجريّ وآخر القرن السّابع الهجري، (ابن خلدون) بِهَدَف إبراز الحركة العلميّة بمدينة بِجاية آنَذاك، ولم يَكُن هدف المؤلّف سرد التّاريخ الاجمالي للمنطقة بل هَدَفَ إلى جمع الأحداث الخاصّة، كما تعرّض إلى ذكر قضايا عديدة، وما يهمّنا هنا القضايا المتعلّقة بالتّرجمة، وأساليب التّعليم في حاضرة بِجاية، وأسلوب التّدريس، واماكن التّعليم المختلفة[23].

ويعتبر " عنوان الدّراية" من أهمّ كُتُب التّراجم الجزائريّة إلى جانب " كتاب الوفيات لابن قُنفذ القسنطيني ت 809هـ، 1407م، والبستان لابن مريم التّلمساني (1014هـ، 1606م) "الدّرّة المصونة" لأبي العبّاس أحمد البنّي 1063هـ، 1653م_ 1139هـ،_ 1726م)، ورحلة الحُسَين الورثيلاني (ت 1193هـ، 1779م)، فقد تمّ ذكرُ هذا الكتاب في عدّة مؤلّفات بيبليوغرافيّة نحو ما ورد عند: (ابن القاضي المكناسي، ابن فرحون، المخلوف، الحفناويّ، حاجّي خليفة...)[24]

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

4_ دور هؤلاء العلماء في نشر علوم اللغة والأدب في شمال إفريقيا:

انبرى علماء بجاية لنشر العلم وحضور المجالس التي تتمّ فيها مدارسة المسائل اللغويّة والفقهيّة، من ذلك ما رواه **المقّري** التّلمساني عن نبوغ أبي العبّاس أحمد بن عمران في مسألة قول **ابن الحاجب** في حدِّ العلم: « صِفةٌ تُوجِبُ تمييزًا لا يحتمِلُ النّقيض، الخاصّة إلا أن يُزادَ في الحدِّ " لِمَن قامَت به" لأنّها إنّما توجِبُ فيهِ تميُّزًا لا تمييزًا، وهذا حَسَنٌ.[25]

ومن ذلك ما ورد في قول **المقري** التّلمساني: فمنهم الفقيه أبو عبد الله محمّد بن يحي الباهلي، عُرِفَ بابن المسفر، باحثتُهُ واستفدتُ منه، وسألني عن اسم كتاب الجوهري فقلتُ له: من النّاس من يقولُ الصّحاح بالكسر، ومنهم من يفتح، فقال: إنّما هو بالفتح بمعنى الصّحيح، _ كما ذَكَرَهُ في باب صحَّ، قلتُ ويحتمِلُ أن يكونَ مصدر صَحَّ كحَنَان[26].

خاتمة ونتائج:

يمكن القول إنّ الأدباء واللغويّين بمدينة بجاية قد أسهموا بشكل كبير في نشر العلم والثّقافة، من خلال رحلاتهم العلميّة، وتنقّلاتهم فكانوا يُمثّلونَ مصدرا للاشعاع العلمي والثّقافي، بما قدّموه من مؤلّفات في شتّى العلوم، وشكّلت أعمال بعضهم نقطة البداية لبعض المؤلّفين وخير مثال على ذلك احتداءُ ابن مالكٍ الأندلسي بابن معط في ألفيّته، كما يُعدّ اهتمامهم بالتّدريس، ولُجوء طلبة العلم إليهم، ومدارستهم للمسائل العلميّة عاملا مهمّا في تلك الحركة العلميّة التي لاقت رواجًا و انتشر صيتُها في شتّى الأقطار .

الهوامش:

[1] _ ذكر السّيوطي في لُبّ اللباب ص30، أنّ النّسبة إلى بجاية: بِجَاوِيّ. يُنظر ابن فرحون، الدّيباج المذهّب، ج1، ص16.

[2] _ هو حسن بن علي بن عمر القسنطيني، المكنّى بأبي تميمٍ، قاضٍ (602هـ_ 1205هـ)، ورحالة من أكابِرِ الفقهاء العلماء، رحل إلى المشرقِ، ثمّ دخل الأندلس ووُلِيَ قضاءَ بلَنْسِيَة، من سنة 568هـ _ إلى سنة 581هـ، ثمّ تولّى قضاءَ بِجايَةَ واستمرّ حتّى سنة 584هـ، حينَ استُقدِمَ إلى مراكش، ليولّى قضاء مرسية بالأندلس، بعد وفاة قاضيها ابن حُبيش، فتُوفي وهو سائِرٌ في طريقه إليها بِتِلمسَانَ. يُنظَر: عادل نُويهض، معجم أعلام الجزائر، من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، دار الوعي، رويبة _ الجزائر_، دط، 2017، 1438هـ، ص: 253.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

[3] _ مدينةُ بِجاية النّاصريّة، سُميت كذلك نِسبَةً لمؤسّسها، ومجدّدها النّاصر بن علناس عام 460هـ.

[4] _ مفتاح خلفات، بجاية حاضرةُ زواوة أنموذجًا للمدينة المتطوّرة، مجلّة كُليّة العُلوم الاسلاميّة، **الصّراط**، السّنة الحادية عَشَر، مُحرّم 1430هـ، جانفي 2009م، ص176.

[5] _ عبد الحميد هيمة، حاضرة بجاية ودورها في تطوّر الحركة الصّوفيّة بالمغرب، مجلّة الفضاء المغاربي العربي، ص01.

[6] _ يُنظر: مستودع العلامة 69، وابن خلدون ترجمة الأمير مسعود، ومثله في الاستقصاء نقلا عن، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 41، 42.

[7] _ يُنظر نيل الابتهاج ص 99، وعادل نويهض، ص 42، 43، نقلا عن دُرّة الحجال، 1: 80، وشجرة النّور 1: 233 ، 5: 255، وابن خلدون 7: 604، وتعريف الخلف 2: 30، والدّيباج 81، ومعجم المؤلّفين 1: 157.

[8] _ يُنظر: الشّيخ أحمد بن محمّد المقّري التّلمساني، نفحُ الطّيب من غُصنِ الأندلُسِ الرّطيب، تحقيق، د إحسان عبّاس، دار صادر بيروت، دط، دت، ج5، ص250، ونيل الابتهاج 69، عادل نُويهض، معجم أعلام الجزائر، من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، دار الوعي، رويبة _ الجزائر_، دط، 2017، 1438هـ، ص43.

[9] _ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 44، نقلا عن هديّة العارفين 1: 126، وكشف الظّنون 635.

[10] _ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص44، نقلا عن الضّوء اللامع للسّخاوي، ج، ص 180 و 260.

[11] _ عادل نُوَيهض، معجم أعلام الجزائر، ص44 نقلا عن الضَّوء اللامع 3: 167، ونيل الابتهاج 110، والحُلل السُّندُسِيّة1/ 3: 648 وفيه ولادته سنة 809هـ. ومثلهُ في تعريف الخلف 140.

[12] _ عادل نويهض، ص48. (الخريدة: قسم شعراء المغرب 1: 343.

[13] _ عادل نويهض ص48. (تعريف الخلف 2: 24)

[14] _ يُنظر: أبا العبّاس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني، عنوان الدّراية، المطبعة الثّعالبيّة، لصاحبها أحمد بن مراد التّركي، وأخيه بمدينة الجزائر المحميّة،ط1، 1328هـ، 1910م، ص75، 76، 77.

[15] _ يُنظر عادل نُويهض، معجم أعلام الجزائر، ص52، نقلا عن، التّكملة لابن الأبّار، وتعريف الخلف ص 566.

[16] _ يُنظر:عادل نُويهض، معجم أعلام الجزائر، ص53، نقلا عن السّخاوي، الضّوء اللامع ج10، ص172.

[17] _ ملخص كتاب أشغال الملتقى الدّولي حول الغبريني_ : بعنوان " الغبريني مترجم سِيَر علماء بِجاية "، بالمسرح الجِهويّ لِبجاية ،من 19_ 20 نوفمبر 2014، ص19.

[18] _ منطقة **آيت غبرين**: من بُطُون قبائل الأمازيغ بالجزائر في أعلى وادي سباو_ كما جاء في ملخص كتاب أشغال الملتقى الدّولي حول الغبريني_ : بعنوان " الغبريني مترجم سِيَر علماء بِجاية "، بالمسرح الجِهويّ لِبجاية ،من 19_ 20 نوفمبر 2014، ص19.

[19] _ المرجع السّابق ص، 19.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

[20] _ يُنظر: أحمد بابا التّنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكتاب، طرابلس، ط2، 2000م ص 99

[21] _ محمّد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، متن ألفيّة ابن مالك في النّحوِ والصّرف، مؤسّسة الرّسالة، بيروت_ لبنان، ط1423،1هـ،2002م، ص5.

[22] _ عبد الرحمن بن خلدون، مقدّمة كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب، والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر، تحقيق وتقديم عبد السّلام الشّدّادي، المركز الوطني للبحوث في عُصور ما قبل التّاريخ وعلم الانسان والتّاريخ، _ الجزائر_ ج3، ص 238، 239.

[23] _ ملخص كتاب أشغال الملتقى الدّولي حول الغبريني_ : بعنوان " الغبريني مترجم سِيَر علماء بِجاية "، بالمسرح الجِهويّ لبِجاية ،من 19_ 20 نوفمبر 2014،ص20

[24] _ ملخص كتاب أشغال الملتقى الدّولي حول الغبريني ص20، 21.

[25] _ المقّري التّلمساني، نفحُ الطّيب، ج5 ص 250.

[26] _ المقري، نفح الطّيب، ج5 ص 250.

المصادر والمراجع:

1_ أحمد بابا التّنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكتاب، طرابلس، ط2، 2000م.

2- أحمد بن أحمد بن عبد الله" أبوالعبّاس" الغبريني، عنوان الدّراية، المطبعة الثّعالبيّة، لصاحبها أحمد بن مراد التّركي، وأخيه بمدينة الجزائر المحميّة،ط1، 1328هـ، 1910م.

3_ إبراهيم بن علي، بن محمّد، بن فرحون، " برهان الدّين اليَعْمُريّ" الديباج المذهّب في معرفة أعيان علماء المذهب.

4_شهاب الدّين أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن أحمد بن يحي القرشيّ، المقّري التلمساني، نفحُ الطّيب من غُصنِ الأندلُسِ الرّطيب، تحقيق، د إحسان عبّاس، دار صادر بيروت، دط، دت.

5_ عادل نُويهض، معجم أعلام الجزائر، من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، دار الوعي، رويبة _ الجزائر_، دط، 2017، 1438هـ.

6_ عبد الرحمن بن خلدون، مقدّمة كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب، والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر، تحقيق وتقديم عبد السّلام الشّدّادي، المركز الوطني للبحوث في عُصور ما قبل التّاريخ وعلم الانسان والتّاريخ، _ الجزائر_ 2006.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

7_محمّد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، متن ألفيّة ابن مالك في النّحوِ والصّرف، مؤسّسة الرّسالة، بيروت_ لبنان، ط1423،1هـ،2002م.

المجلات العلميّة:

8_ عبد الحميد هيمة، حاضرةُ بِجاية ودورها في تطوّر الحركة الصّوفيّة بالمغرب، مجلّة الفضاء المغاربي العربي.

9_ مفتاح خلفات، بجاية حاضرةُ زواوة أنموذجًا للمدينة المتطوّرة، مجلّة كُليّة العُلوم الاسلاميّة، **الصّراط**، السّنة الحادية عَشَر، مُحرّم 1430هـ، جانفي 2009م.

_ الوثـــــائق:

10_ملخص كتاب أشغال الملتقى الدّولي حول الغبريني_ : بعنوان " الغبريني مترجم سِيَرِ علماء بِجاية "، بالمسرح الجِهويّ لبِجاية ،من 19_ 20 نوفمبر 2014.